

shariatallah.org

الملحق 8ط: الصليب والهيكل

هذه الصفحة جزء من سلسلة تستكشف شرائع الله التي لم يكن يمكن طاعتها إلا حين كان الهيكل قائمًا في أورشليم.

- الملحق 8أ: شرائع الله التي تتطلب وجود الهيكل
- الملحق 8ب: الذبائح — لماذا لا يمكن حفظها اليوم
- الملحق 8ج: الأعياد الكتابية — لماذا لا يمكن حفظ أيٍّ منها اليوم
- الملحق 8د: شرائع الطهارة — لماذا لا يمكن حفظها من دون الهيكل
- الملحق 8هـ: العشور والبواكير — لماذا لا يمكن حفظها اليوم
- الملحق 8و: خدمة الشركة — كان العشاء الأخير ليسوع هو الفصح
- الملحق 8ز: شرائع النذير والنذور — لماذا لا يمكن حفظها اليوم
- الملحق 8ح: الطاعة الجزئية والرمزية المتعلقة بالهيكل
- الملحق 8ط: الصليب والهيكل (هذه الصفحة).

ليس الصليب والهيكل عدوين، وليسا «مرحلتين» تلغي إحداهما الأخرى. شريعة الله أبدية (مزمور 89:119؛ 160:119؛ ملاخي 6:3). ونظام الهيكل، بما فيه من ذبائح وكهنة وشرائع طهارة، أُعطي بالشريعة الأبدية نفسها. لم يُبطل موت يسوع وصية واحدة. بل كشف العمق الحقيقي لما كانت تلك الوصايا تقوله بالفعل. لم يُدمَّر الهيكل لإنهاء الذبائح، بل كان ذلك دينونةً بسبب العصيان (2 أخبار الأيام 36:14-19؛ إرميا 7:12-14؛ لوقا 19:41-44). ومهمتنا أن نتمسك بهذه الحقائق معًا، من دون اختراع دين جديد يستبدل بالشريعة أفكارًا بشرية عن الصليب.

التعارض الظاهري: الحمل والمذبح

للوهلة الأولى، يبدو أن هناك تعارضًا:

- من جهة، شريعة الله التي تأمر بالذبائح والقرابين والخدمة الكهنوتية. (لاويين 1:1-2؛ خروج 28:1)
- ومن جهة أخرى، يُقدَّم يسوع بوصفه «حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يوحنا 29:1؛ 1 يوحنا 2:2).

يقفز كثيرون إلى استنتاج لا تطرحه الأسفار المقدسة قط: «إذا كان يسوع هو الحمل، فقد انتهت الذبائح، وانتهى الهيكل، ولم تعد الشريعة التي أمرت بها ذات أهمية».

لكن يسوع نفسه رفض هذا المنطق. قال بوضوح إنه لم يأتِ لينقض الشريعة أو الأنبياء، وإنه لن يسقط حرف واحد أو نقطة واحدة من الشريعة حتى تزول السماء والأرض (متى 5:17-19؛ لوقا 16:17). وما زالت السماء والأرض قائمتين. وما زالت الشريعة ثابتة. ولم تنقض كلماته قط الوصايا المتعلقة بالذبائح والقرابين والهيكل.

الصليب لا يمحو شرائع الهيكل. بل يكشف الصليب إلى ماذا كانت تشير حقًا.

يسوع بوصفه حمل الله — إتمام من دون إلغاء

حين دعا يوحنا يسوع «حمل الله» (يوحنا 29:1)، لم يكن يعلن نهاية نظام الذبائح. بل كان يعلن المعنى الحقيقي لكل ذبيحة قُدِّمت بالإيمان قط. لم يكن لدم الحيوانات قوة في ذاته (1 بطرس 1:19-20). بل جاءت قوته من الطاعة لله ومن دلالته: الذبيحة المستقبلية للحمل الحقيقي. فالله لا يقول شيئًا ثم يناقض نفسه لاحقًا (العدد 19:23).

ومنذ البداية، كان الغفران يعتمد دائمًا على أمرين يعملان معًا:

- الطاعة لما أمر به الله (تثنية 26:11-28؛ حزقيال 21:20)
- التدبير الذي عيّنه الله بنفسه للتطهير (لاويين 11:17؛ العبرانيين 22:9)

في إسرائيل القديمة، كان المطيعون يذهبون إلى الهيكل، ويقدّمون الذبائح كما تتطلب الشريعة، وينالون تطهيرًا عهديًا حقيقيًا، لكنه مؤقت. أما اليوم، فيقود الآب المطيعين إلى الحمل الحقيقي، يسوع، لينالوا تطهيرًا أبديًا (يوحنا 37:6؛ 39:6؛ 44:6؛ 65:6؛ 6:17). والنمط هو نفسه: الله لا يطهّر المتمردين أبدًا (إشعياء 1:11-15).

كون يسوع هو الحمل الحقيقي لا يمزق الوصايا المتعلقة بالذبيحة. بل يثبت أن الله لم يكن يتعامل مع الرموز على سبيل اللهو قط. فكل ما كان في الهيكل كان أمرًا جادًا، وكل شيء كان يشير إلى أمر حقيقي.

لماذا استمرت الذبائح بعد الصليب

لو كان الله يقصد إبطال الذبائح لحظة موت يسوع، لسقط الهيكل في اليوم نفسه. لكن ماذا حدث بدلًا من ذلك؟

- انشق حجاب الهيكل (متى 51:27)، لكن المبنى ظل قائمًا واستمرت العبادة فيه (أعمال الرسل 46:2؛ 1:3؛ 26:21).
- استمرت الذبائح وطقوس الهيكل يوميًا (أعمال الرسل 1:3؛ 26:21)، وتفترض رواية سفر أعمال الرسل بأكملها وجود مَقْدِس قائم تؤدَّى فيه الخدمة.
- واصلت الكهنوتية خدمتها (أعمال الرسل 1:4؛ 7:6).
- استمر الاحتفال بالأعياد في أورشليم (أعمال الرسل 1:2؛ 16:20).

- وحتى بعد القيامة، شوهد المؤمنون بيسوع في الهيكل (أعمال الرسل 46:2؛ 1:3؛ 20:5-21؛ 26:21)، وكان آلاف اليهود الذين آمنوا به «جميعًا غيورين للشريعة» (أعمال الرسل 20:21).

لم يعلن شيء في الشريعة، ولا في كلمات يسوع، ولا في الأنبياء، أن الذبائح ستصبح خطية أو باطلة فور موت المسيح. ولا توجد نبوة تقول: «بعد موت ابني، كفّوا عن تقديم الحيوانات، لأن شريعتي المتعلقة بالذبيحة قد أُبطلت».

بل استمرت خدمات الهيكل لأن الله ليس ذا لسانين (العدد 19:23). فهو لا يأمر بشيء بوصفه مقدسًا ثم يعامله سرًا كنجس لأن ابنه مات. ولو صارت الذبائح تمردًا لحظة موت يسوع، لقال الله ذلك بوضوح. لكنه لم يفعل.

إن استمرار خدمة الهيكل بعد الصليب يبيّن أن الله لم يلغِ قط أي وصية مرتبطة بالمقدس. فكل تقدمة، وكل طقس تطهير، وكل واجب كهنوتي، وكل عمل عبادة قومي ظل نافذًا، لأن الشريعة التي أقرّتها بقيت بلا تغيير.

الطبيعة الرمزية لنظام الذبائح

كان نظام الذبائح بأكمله رمزيًا في تصميمه، لا لأنه كان اختياريًا أو يفتقر إلى السلطان، بل لأنه كان يشير إلى حقائق لن يُتمّها يومًا إلا الله نفسه. وكانت الشفاءات التي أقرّها مؤقتة — إذ كان يمكن للمتعافين أن يمرضوا من جديد. وكانت طقوس التطهير تعيد الطهارة لفترة محدودة فقط — إذ كان يمكن للنجاسة أن تعود. وحتى الذبائح عن الخطية كانت تجلب غفرانًا ينبغي طلبه مرة بعد مرة. لم يكن أي من هذه الأمور إزالة نهائية للخطية أو الموت؛ بل كانت رموزًا أمر بها الله، تشير إلى اليوم الذي سيبيد فيه الله الموت نفسه (إشعياء 8:25؛ دانيال 2:12).

جعل الصليب تلك النهاية ممكنة، لكن نهاية الخطية الحقيقية لن تُرى إلا بعد الدينونة الأخيرة والقيامة، حين يقوم الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونة (يوحنا 28:5-29). عندئذ فقط يُبتلع الموت إلى الأبد. ولأن خدمات الهيكل كانت رموزًا تشير إلى حقائق أبدية، لا الحقائق نفسها، لم يجعلها موت يسوع غير ضرورية. بل بقيت نافذة إلى أن أزال الله الهيكل دينونةً — لا لأن الصليب ألغها، بل لأن الله اختار أن يقطع الرموز، فيما لا تزال الحقائق التي أشارت إليها تنتظر إتمامه النهائي في نهاية الدهر.

كيف يعمل الغفران اليوم

إذا لم تُبطَل قط الوصايا المتعلقة بالذبائح، وإذا استمر نظام الهيكل حتى بعد الصليب — إلى أن أنهى الله نفسه وجوده سنة 70 ميلادية — يبرز سؤال طبيعي: كيف يمكن لأي إنسان أن ينال الغفران اليوم؟ نجد الجواب في النمط نفسه الذي أقرّه الله منذ البداية. فقد جاء الغفران دائمًا بالطاعة لوصايا الله (2 أخبار الأيام 14:7؛ إشعياء 7:55) وبالذبيحة التي عيّنها الله بنفسه (لاويين 11:17؛). وفي إسرائيل القديمة، نال المطيعون تطهيرًا طقسيًا عند المذبح في أورشليم، وكانت الشريعة تتمّمه أساسًا بسفك الدم (لاويين 20:4؛ 26:4؛ 31:4؛ العبرانيين 22:9). أما اليوم، فيُطهَّر المطيعون بذبيحة المسيح، حمل الله الحقيقي الذي يرفع الخطية (يوحنا 29:1).

لا يمثّل هذا تغييرًا في الشريعة. لم يُلغِ يسوع وصايا الذبائح (متى 5:17-19). بل حين أزال الله الهيكل، غيّر المكان الظاهر الذي تلتقي فيه الطاعة بالتطهير. أما المعيار فظل كما هو: الله يغفر للذين يتقونه ويحفظون وصاياه (مزمور 103:17-18؛ الجامعة 12:13). ولا يأتي أحد إلى المسيح ما لم يجذبه الآب (يوحنا 6:37؛ 6:39؛ 6:44؛ 6:65؛ 6:17)، ولا يجذب الآب إلا الذين يكرمون شريعته (متى 7:21؛ 19:17؛ يوحنا 6:17؛ لوقا 8:21؛ 11:28).

في إسرائيل القديمة، كانت الطاعة تقود الإنسان إلى المذبح. أما اليوم، فالطاعة تقود الإنسان إلى المسيح. لقد تغيّر المشهد الخارجي، لا المبدأ. لم يتطهّر غير الأمناء في إسرائيل بالذبائح (إشعياء 1:11-16)، ولا يتطهّر غير الأمناء اليوم بدم المسيح (العبرانيين 10:26-27). وقد طلب الله دائمًا الأمرين نفسيهما: الطاعة لشريعته والخضوع للذبيحة التي عيّنها.

ومنذ البداية، لم تكن هناك لحظة جلب فيها دم أي حيوان، أو تقدمة أي حبوب أو دقيق، سلامًا حقيقيًا بين خاطئ والله. لقد أمر الله بتلك الذبائح، لكنها لم تكن المصدر الحقيقي للمصالحة. يعلّم الكتاب المقدس أن دم الثيران والتيوس لا يستطيع أن يرفع الخطايا (العبرانيين 10:4)، وأن المسيح كان معروفًا سلفًا قبل تأسيس العالم (1 بطرس 1:19-20). ومنذ عدن، جاء السلام مع الله دائمًا من خلال الابن الكامل الذي بلا خطية، الوحيد المولود (يوحنا 1:18؛ 3:16) — ذاك الذي أشارت إليه كل ذبيحة (يوحنا 3:14-15؛ 3:16). كانت القرابين المادية علامات محسوسة أتاحت للبشر أن يروا خطورة الخطية ويلمسوها ويشعروا بها، وأن يفهموا بلغة أرضية كلفة الغفران. وحين أزال الله الهيكل، لم تتغير الحقيقة الروحية. الذي تغيّر هو الشكل المادي. أما الحقيقة فبقيت كما هي تمامًا: ذبيحة الابن هي التي تجلب السلام بين المسيء والآب (إشعياء 53:5). توقفت الرموز الظاهرة لأن الله اختار أن يزيلها، لكن الحقيقة الباطنة — التطهير الذي يقدمه ابنه للذين يطيعونه — تستمر بلا تغيير (العبرانيين 9:5).

لماذا دمّر الله الهيكل

لو كان المقصود من تدمير الهيكل سنة 70 ميلادية «إبطال الذبائح»، لقالت الأسفار المقدسة ذلك. لكنها لا تقول ذلك. بل إن يسوع نفسه أوضح سبب الدمار الآتي: الدينونة.

بكى على أورشليم وقال إن المدينة لم تعرف زمان افتقادها (لوقا 19:41-44). وحذّر من أن الهيكل سيُهدم حجرًا على حجر (لوقا 21:5-6). وأعلن أن البيت تُرك خرابًا بسبب رفض الإصغاء إلى رسل الله (متى 23:37-38). لم يكن هذا إعلانًا عن لاهوت جديد تصبح فيه الذبائح شرًا. بل كان نمط الدينونة المألوف القديم: السبب نفسه الذي دُمّر به الهيكل الأول سنة 586 قبل الميلاد (2 أخبار الأيام 36:14-19؛ إرميا 7:12-14).

وبعبارة أخرى:

- سقط الهيكل بسبب الخطية، لا لأن الشريعة تغيّرت.
- أُزيل المذبح بسبب الدينونة، لا لأن الذبائح أصبحت مخالفة لله.

ظلّت الوصايا مكتوبة، أبدية كما كانت دائمًا (مزمور 119:160؛ ملاخي 3:6). أما ما أزاله الله فهو الوسائل التي كان يمكن بها تنفيذ تلك الوصايا.

الصليب لم يمنح الإذن بدين جديد بلا الشريعة

إن معظم ما يُسمّى «المسيحية» اليوم مبني على كذبة بسيطة: «بما أن يسوع مات، فقد أُبطلت شريعة الذبائح والأعياد وشرائع الطهارة والهيكل والكهنوت. لقد حلّ الصليب محلها».

لكن يسوع لم يقل ذلك قط. ولم يقل الأنبياء الذين تنبأوا عنه ذلك قط. بل كان المسيح واضحًا في أن أتباعه الحقيقيين يجب أن يطيعوا وصايا أبيه كما وردت في العهد القديم، تمامًا كما فعل رسله وتلاميذه (متى 21:7؛ 17:19؛ يوحنا 6:17؛ لوقا 21:8؛ 28:11).

لم يمنح الصليب أحدًا سلطة أن:

- يلغي شرائع الهيكل
- يبتكر طقوسًا جديدة، مثل خدمة التناول، لتحل محل الفصح
- يحوّل العشور إلى رواتب للرعاة
- يستبدل بنظام الطهارة الذي أقرّه الله تعاليم حديثة
- يتعامل مع الطاعة على أنها اختيارية

لا شيء في موت يسوع يمنح البشر الإذن بإعادة كتابة الشريعة. إنما يؤكد فقط أن الله يأخذ الخطية والطاعة على محمل الجد.

موقفنا اليوم: نطيع ما يمكن طاعته، ونكرم ما لا يمكن

يلتقي الصليب والهيكل في حقيقة لا مفر منها:

- الشريعة باقية دون مساس (متى 5:17-19؛ لوقا 16:17).
- لقد أزال الله الهيكل (لوقا 21:5-6).

وهذا يعني:

- يجب أن نطيع الوصايا التي ما زال بالإمكان طاعتها، بلا أعذار.
- يجب أن نكرم الوصايا التي تعتمد على الهيكل كما كُتبت، لكن لا نمارسها، لأن الله نفسه أزال المذبح والكهنوت.

لا نعيد اليوم بناء نسخة بشرية من نظام الذبائح، لأن الله لم يُعِد الهيكل. ولا نعلن إبطال شرائع الذبائح، لأن الله لم يلغها قط.

نقف بين الصليب وجبل الهيكل الخالي بخوف ورعدة، عالمين أن:

- يسوع هو الحمل الحقيقي الذي يطهّر الذين يطيعون الآب (يوحنا 29:1؛ 44:6).

- شرائع الهيكل لا تزال مكتوبة بوصفها فرائض أبدية (مزمور 160:119).
- إن استحالة ممارستها في الوقت الحاضر نتيجة دينونة الله، وليست إذنًا لنا باختراع بدائل (لوقا 41:19-44؛ 5:21-6).

الصليب والهيكل معًا

يرفض الطريق الصحيح كلا الطرفين المتطرفين:

- ليس: «أبطل يسوع الذبائح، لذا لم تعد الشريعة مهمة».
- وليس: «ينبغي أن نعيد بناء الذبائح الآن بطريقتنا الخاصة، من دون هيكل الله».

بل:

- نؤمن بأن يسوع هو حمل الله، الذي أرسله الآب من أجل الذين يطيعون شريعته (يوحنا 29:1؛ 15:14).
- نقبل أن الله أزال الهيكل دينونةً، لا إبطالًا (لوقا 41:19-44؛ متى 37:23-38).
- نطيع كل وصية ما زال تنفيذها ممكنًا ماديًا اليوم.
- نكرم الوصايا المعتمدة على الهيكل برفضنا استبدال طقوس بشرية بها.

لا ينافس الصليب الهيكل. بل يكشف الصليب المعنى الكامن وراء الهيكل. وإلى أن يعيد الله ما أزاله، فإن واجبنا واضح:

- أطيعوا ما يمكن طاعته.
- وأكرموا ما لا يمكن.
- لا تستخدموا الصليب أبدًا عذرًا لتغيير الشريعة التي جاء يسوع ليتمّمها لا ليهدمها (متى 17:5-19).